مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
مجلد: 10عدد: 02السنة 2018 رقم العدد التسلسلي 16

النص الأدبي وتجليات القراءة النسقية

The literary text and the manifestations of the systemic reading

د.أحمد بناني – المركز الجامعي تامنغست
Abenani11@yahoo.com

تاريخ الإرسال 2018/08/17– تاريخ القبول 09/19/ 2018– تاريخ النشر2018/11/29

ملخص البحث

إن هذا المقال محاولة للوقوف على القراءة النسقية وتجلياتها في سبر أغوار النص الأدبي حيث سنتناول ارتباط هذه القراءة بمفهوم النسق المستمد من التراكم المعرفي اللساني الذي بلوره علماء علم اللسان الحديث، فتسرب ذلك المفهوم ومعطيات ذلك الدرس إلى حقل الدراسات النقدية فأحدث تحولا كبيرا في اهتمامات النقاد كونه يمثل حدثا جديدا، فأحدث النقاد تحولات في تجاربهم النقدية بفعل تركيز المعطيات اللسانية على المرجعية الداخلية للنص والنظر إليه على أنه شبكة من العلاقات تصنع عالم النص شبكة تختفي تحتها مستويات شكلية مختلفة أسلوبية ونحوية وإيقاعية آثر النقاد المحدثون الوقوف عليها هذا الوقوف الذي اختلفت تجليات الوقوف عليه وفق رؤية كل منهم لهذه المعطيات اللسانية وإعادة قراءتها قراءة تتداخل تارة مع مفاهيمها عند علماء علم اللسان الحديث وقد تفترق عن تلك المفاهيم من خلال توسع بعضهم في فهم تلك المعطيات، وهو ما جعلها تتجلى في صور اتجاهات ومقاربات تماهت معها القراءة النسقية للنص الأدبي وتجاوزتها في مراحل متأخرة وهو ما سنحاول الوقوف عليه في هذا المقال الموسوم **بـ:" النص الأدبي وتجليات القراءة النسقية"**

الكلمات المفتاحية: النص الأدبي، تجليات، القراءة النسقية.

Abstract :

This article try to stand on process reading and manifestations in exploring literary text where we're having this link read the concept of themes derived from the accumulation of knowledge and linguistic which was articulated by modern linguists. The concept and data that

المنارة للاستشارات

leak that lesson to the latest monetary studies Major shift in concerns of critics as a new event, the latest critics shifts in cash experiences by linguistic data focus on internal reference text and viewed as a network of relationships that creates a world text network that disappear under different levels of formal grammatical and stylistic rhythmic and impact. Modern critics found this stand which varied manifestations stand it as seeing them all to the lingua and readings that sometimes overlap with concepts when scientists learned tongue talk and may diverge from those concepts by expanding each understand that data, which is made manifest in Photos of trends and approaches were grafted onto her reading process of literary text and overtaken by late and is what we will try to stand it in this article subject: ' literary text and manifestations of systemic reading '
Key words : Literary Text, reading, system, systemic reading

مقدمة

إن الحديث عن النص الأدبي والقراءة النسقية هو حديث عن تعامل النسق مع النص الأدبي لأن هذه الرؤية تسبر النص الأدبي وتتوغل في ثناياه لتكتشفه من الداخل متجاوزة الخارج المرجعي لتعتبر النص بذلك نسقًا لُغويًا في سكونهِ وثباتهِ، وقد حققت هذه الرؤية نجاحا كبيرا ولا أدل على ذلك من تسلطها على النص الأدبي بجهاز مصطلحي تشرب هذه الرؤية فانكب عليه الدارسون بلهفة كبيرة متسلحين برؤية تغترف من مرجعيات أنساق الظواهر الأدبية والنصية واللغوية، فالقراءة النسقية للنص الأدبي تجسدت في فكرة النظام أو النسق هذه الفكرة التي تشير إلى جوهر يلملم شتات النص و يتحكم بعناصره وأجزائه، والذي يمكن أن يظهر من خلال شبكة العلاقات العميقة بين المستويات النحوية الأسلوبية والإيقاعية، فهي مستمدة من فكرة العلاقات اللغوية التي تعد أساسًا من أسس الدرس اللساني .

القراءة النسقية قراءة مشبعة بالمعاني اللسانية التي تبلورت في رؤية دي سوسير التي تؤكد على أن اللغة ليست مفردات محددة المعاني ولكنها مجموعة علاقات، وهو ما يرسخ معانقة القراءة النسقية للدرس اللساني بتشربها للمعطيات التي

المنارة للاستشارات

جاء بها هذا الدرس الحديث، وهي معطيات تتعامل مع النص على اعتبار أنه مجموعة من الكلمات وكل كلمة لا يتحددُ معناها إلا بعلاقتِها مع بقية الكلماتِ التي تسبقها والتي تلحقها حيث تجلت الاستفادة من هذه المعطيات في مقاربات مختلفة كل منها تتوسل بجهاز مفاهيمي يؤطر قراءتها لهذه المعطيات، وهو ما سنحاول سبر أغواره في هذا المقال الموسوم بـ:" النص الأدبي وتجليات القراءة النسقية".

أولا–القراءة النسقية بحث في العلاقات الداخلية للنص

إن القراءة النسقية للنص الأدبي تتجلى في أبهى صورها في تقصي هذه القراءة لبناء اللغة أو نظامها هذا الذي يتجسد في شبكة العلاقات بين الكلمات، وهي تمثل نظامًا متزامنًا يقودنا للوقوف على نسق النص الأدبي من خلال البحث في العلاقات الداخلية للنص لأنها مرتبطة بمصطلح عرف عند دي سوسير باسم البنية؛هذه الأخيرة تمثل نسقا من التحولات :" يحتوي على قوانينِه الخاصةِ، علًما بأنَّ من شأنِ هذا النسقِ أن يظلَّ قائمًا ويزدادَ ثراءً بفضلِ الدور الذي تقوُم به هذه التحولاتُ نفسُها، دون أن يكونَ من شأنِ هذه التحولات أن تخرجَ عن حدودِ ذلك النسقِ أو أن تستعينَ بعناصرَ خارجية"[1].

فالقراءة النسقية قراءة تبحث في العلاقات الداخلية للنص الأدبي محاولة دراسة نظامه بالوقوف على العناصر التي تشكل ذلك النظام لتتبلور تلك الرؤية بتحديد القوانين التي تحتكم إليها بنية النص الأدبي، وتأكيد إسهامها في انسجام النص واتساقه.

وبذلك تستند القراءة النسقية في قراءة للنص الدبي على النسق الذي يعتبر بنية والبنية ليست طفرة مفهومية بل هي امتداد لجملة من المفاهيم الموزعة على حقول معرفية مختلفة لعل أهمها مفهوم المجموعة (Group) في الرياضيات الذي يراه جون بياجي أقدم بنية عرفت ودرست، ومفهوم الشكل (Gestalt) في السيكولوجيا الجشطلتية(Gestaltisme) بينما تبقى اللسانيات الحديثة ، ومعها النقد البنيوي في اصطناعها لهذا المفهوم مدينة لدو سوسير الذي كان يعبر عن ذلك بمصطلح النسق أو النظام (Systéme)، ولم يكن يصدع بمصطلح

المنارة للاستشارات

البنية(Structure) على حد تعبير جون بياجيه، وجمهور الدارسين الذين أجمعوا على أن ديسوسير في إلحاحه على نظامية الاستعمال اللغوي قد سمى (نسقا) ما سماه خلفه(بنية) [2].

لتتجلى القراءة النسقية في صورة نسق يتمظهر في مفاهيم مختلفة تغترف من اللسانيات الحديثة التي أكدت على نظامية اللغة، كما تستعين بمعطيات النقد البنيوي في ضبط الجهاز الاصطلاحي لهذه القراءة، وإثراء جهازه المفاهيمي بالمصادر الشكلية والأبعاد المحايثة.

كما يشير النسق الذي تتكئ عليه القراءة النسقية إلى" نظامٍ من علاقاتٍ داخليةٍ ثابتةٍ، يُحدد السماتِ الجوهريةَ لأيّ كيان، ويشكّل كلاً متكاملاً لا يمكن اختزاله إلى مجرّدِ حاصلِ مجموعِ عناصره، وبكلماتٍ أخرى يشير إلى نظامٍ يحكُم هذه العناصرَ فيما يتعلّق بكيفيةِ وجودِها وقوانينِ تطوّرِها"[3]، فهو كل تبحث فيه القراءة النسقية لتثبت إحكام تماسك عناصره، وإسهامها في بناء مستوياته المختلفه بناء يؤكد ثبات العلاقات الداخلية وسيطرة قوانين نسجها على تشكل نظامها.

فالقراءة النسقية تدرس نسق النص الأدبي دراسة تثبت بأن النسق كل متكامل " يتألف من عناصر يكون من شأن أي تحول يعرض للواحد منها أن يحدث تحولا في باقي العناصر الأخرى "[4]، فعناصر النسق مترابطة ارتباطا محكما لأنها تحتكم إلى قوانين داخلية ثابتة إذا تعرض عنصر منها إلى تغير ألقى ذلك التغير بظلاله على جميع عناصر النسق، مما يؤدي إلى تأثر القوانين التي تحتكم إليها، وبذلك يتغير شكل النسق وتتغير آليات الوقوف على اتساقه ورصد قوانين نظامه.

إن النسق الذي تبحث فيه الدراسات اللسانية الحديثة ليس حكرا عليها فقد أشار الجرجاني قديما إلى مفهوم قريب من مفهوم النسق حيث لا يختلف هذا الأخير في مفهومه عن مصطلح النظم الذي أطلقه عبد القاهر الجرجاني الذي أكد بأن" الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ، ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك

المنارة للاستشارات

وتؤنسك في موضع ثم تراها تثقل عليك، وتوحشك في موضع آخر"[5]، فهي إشارة من الجرجاني إلى ارتباط الألفاظ ببعضها البعض من حيث ملاءمة معاني بعضها لمعاني ما جاورها من الألفاظ والمفردات وهو ما يجعل المرء يصغي للوقع الذي يحدثه ذلك التلاؤم ويسيخ لانسياب تركيبها وجمالية تراكم معانيها وتوالد دلالاتها.

فلا فرق بين (نظم) الجرجاني وبين(نسق Systéme) دي سوسير من هذه الناحية، فكلاهما يؤدي مفهوم (البنية)هنا، حيث يتحدد مفهوم العنصر بشبكة العلاقات التركيبية التي تنتظم هذا العنصر مرتبطا بالعناصر الأخرى في الشبكة ذاتها[6]، وهو ما تستهدفه القراءة النسقية من خلال رصد شبكة العلاقات التركيبية التي تحكم عناصر بنية النص الأدبي، وهو ما أكد عليه الجرجاني وأسهم في ترسيخ معناه دي سوسير في مفهوم النظام الذي أشار إليه في محاضراته.

ثانيا–خصائص النسق في القراءة النسقية

مفهوم النسق الذي دعا إليه دي سوسير يتميز بخصائص انطلقت منها القراءة النسقية في قراءتها للنص الأدبين فإذا كان النسق نظاما من العلاقات المحكمة فإنه هذه العلاقات تتسم بـ:

1– **الكلية أو الشمول:** وتشير هذه الخاصية إلى خضوع العناصر التي تشكل البنية لقوانين تميز المجموعة أو الكل ككل [7]، فالنسق بهذه الخاصية يتناول النص الأدبي كبنية تتكون من عناصر وهذه العناصر تخضع لقوانين تركيبية تتعدى دورها من حيث هي روابط تراكمية تشد أجزاء الكيان الأدبي بعضه إلى بعض، فهي تضفي على الكل خصائص مغايرة لخصائص العناصر التي يتألف منها [8]، المهم في النسق تراكم العناصر وخضوعها لقوانين المجموعة مما يجعل القراءة النسقية تنظر إلى عناصر النص الأدبي على انها تشكل كلا مترابطا تشد عناصره عرى بعضها البعض لتتمظهر في صورة بنية منسجمة بقوانين محكمة.

2–**التحولات:** الاشارة هنا إلى ذلك النشاط الداخلي الذي يجعل كل عنصر بانيا لغيره ومبنيا في الوقت ذاته، ولهذا فقد أخذ ت البنيوية هذه السمة بعين الاعتبار لتحاصر تحول البنية، وما قد يعتريها من تغيراتو التحول دليل على أن النسق لا يمكن أن

المنارة للاستشارات

يظل في حالة سكون مطلق بل هو في تغير دائم يقبل من التغيرات ما يتضمن مع الحاجات المحددة من قبل علاقاته أو تعارضاته، فالأفكار التي يحتويها النص الأدبي مثلا تصبح بموجب هذا التحول سببا لبزوغ أفكار جديدة[10] فالتشكل المستمر وإعادة التشكل يجعل الأدبي في تحول متواصل يخضع لتغيرات العلاقات التي تحتكم إليها شبكة العلاقات بين عناصره.

3-**التنظيم الذاتي:** وهي خاصية تمكن النسق من تنظيم نفسه كي يحافظ على وحدته واستمراريته، فتحولات النسق الداخلية لا تقود إلى أبعد من حدوده وإنما تولد عناصر تنتمي إلى النسق نفسه، وعلى الرغم من انغلاقه هذا لا يعني أن يندرج ضمن نسق آخر أوسع منه دون أن يفقد خواصه الذاتية[11]، فالقراءة النسقية تقوم على نسق يمتلك تنظيمه الذاتي الذي يحافظ على تماسكه وانسجامه وثبات قوانينه، وكل تحول يعتري علاقات عناصره يؤدي إلى تغير ضمن الشبكة الداخلية مع الحرص على عدم فقدان تنظيمها الداخلي لضمان إحكام اتساقه.

ثالثا-القراءة البنيوية من تجليات القراءة النسقية للنص الأدبي

القراءة النسقية قراءة بنيوية والبنيوية تشتق من البنية ، والبنية بالرسم الفرنسي (Structure) بالرسم الفرنسي والانكليزي الموحد أو (Structura) اللاتينية ، والبناء (Construction) بالرسم الموحد أيضا مع فارق في النطق أو (Constructio) كلتيهما تمتدان إلى الفعل الفرنسي(Détruie) (بمعنى : الهدم والتقويض والتخريب) الذي يمتد تأثيله إلى الفعل اللاتيني (Struere) بمعنى تنضيد المواد (Empiter des Matériaux)، أو التأسيس والبناء والتشييد(Batir)، كما أن هذا الفعل اللاتيني المتكئ على القاعدة (stru) ينحدر من الصيغة الهندو أو روبية(Ster) بمعنى المد والنشر والبسط والتوسع(Etendre) [12]، وهي إشارة إلى أن القراءة النسقية تقوم على دراسة القوانين التي تحكم بناء النص الأدبي وتبحث في آليات تشييده.

إن القراءة النسقية قراءة بنوية بتناوله النص الأدبي تناولا يقوم على البحث عن العلاقات التي تعطي العناصر المتحدة قيمة، ووصفها في مجموع منتظم مما يجعل من الممكن إدراك هذه المجموعات في أوضاعها الدالة[13]، وهو جوهر الدراسة

المنارة للاستشارات

البنيوية للنص الأدبي التي تبحث في العلاقات التي تجعل النص وحدة متكاملة، كما تقف على ما يجعل عناصر النص الأدبي مترابطة مع السعي لوصفها وصفا يؤكد وحدة انتظامها، وثبات قوانين بنائها.

فالقراءة النسقية رؤية تعد النص بنية مغلقة على ذاتها ولا تسمح بتغير يقع خارج علاقاته ونظامه الداخلي [14]، فالانطلاق في دراسة النص منه وإليه دراسة تلج إلى بنية النص الدلالية من خلال بنيته التركيبية[15]، فالبنية التركيبية هي المدخل للوقوف على الأبعاد الدلالية للنص الأدبي، والمنطلق في رصد العلاقات الداخلية التي ينبغي أن تتم التحولات التي تعتريها ضمن فضائه الداخلي دون أن تخرج عن تشكلات تلك العلاقات ورسمها لمعالم البناء الدلالي للنص الأدبي.

القراءة النسقية تتوسل بالبنيوية في قراءة النص الأدبي هذه الأخيرة التي تنظر إلى النص الأدبي بوصفه بناء متكاملا بعيدا عن أية عوامل أخرى أي يجعلنا نعكف من خلال اللغة على استخلاص الوحدات الوظيفية الأساسية التي يحتكم إليها النص الأدبي [16]، فهي رؤية لسانية تؤسس لطريقة وصفية في قراءة النص الأدبي قراءة تستند إلى التفكيك والتركيب، وهي طريقة لا تهتم بالمضمون بقدر ما تركز على شكل المضمون وعناصره وبناه التي تشكل نسقية النص في اختلافاته وتآلفاته[17]، فتقوم القراءة النسقية بوصف النص الأدبي باعتباره بناء لغويا تشكله وحدات وظيفية محكمة من خلال تفكيك تلك العناصر وإعادة تركيبها ليتجلى النص في صورة بنى متسقة، وعناصر منسجمة.

رابعا–المنطلقات الشكلانية من تجليات القراءة النسقية للنص الأدبي

إذا كانت القراءة النسقية تشير إلى قراءة النص بالوقوف على العلاقات بين مكوناته وتآلفها فإن هذا البعد كانت له منطلقات شكلية رسمت معالم سبر علاقات عالم النص الداخلية ويمكن رصد هذا المنطلق الشكلي برؤية مدرسة الشكليين الروس حيث تعد من أهم المنطلقات الشكلية التي اتكأ عليها مفهوم النسق ، فقد دعت إلى ضرورة التركيز على العلاقات الداخلية للنص، وقالت بأن موضوع الدراسة التاريخية ينبغي أن ينحصر في ما أسماه جاكبسون أدبية الأدب وتتكون الأدبية بشكل عام من

المنارة للاستشارات

الأساليب والأدوات التي تميز الأدب عن غيره أي الخصائص التي تميز ذلك الأدب [18]، فأكدت القراءة النسقية على البعد الشكلي من خلال دراسة العلاقات الداخلية للنص الأدبي والبحث في خصوصية العلاقة بين عناصره، ورصد تمظهراتها الشكلية في صورة أساليب وتراكيب، وألفاظ ومفردات تجسد تماسك بنيته.

إن غاية الشكلانية التي تستند القراءة النسقية إلى مصادرها هي الدراسة العلمية للنص الأدبي وهي رؤية يترجمها جاكبسون بقوله " إن هدف علم الأدب ليس هو الأدب في عموميته وإنما أدبيته أي تلك العناصر المحددة التي تجعل منه عملا أدبيا"[19]، وهي العناصر التي تبحث فيها القراءة النسقية محاولة رصد خصوصية النص الأدبي وخصوصية العلاقة بين العناصر التي تشكله.

هناك تداخل كبيربين العناية بالشكل والعناية بالبنية كمجموعة من العناصر المتداخلة والمتماسكة، فالبعد الشكلي يرسم حاجزا بين الشكل والمضمون بينما البعد البنيوي يحكم الصلة بين الشكل والمضمون، وهو ما يقودنا إلى الفرق بين البعد الشكلي والبعد البنيوي، حيث أن البعد البنيوي يختلف عن الشكلي، وهو ما أكده شتراوس مبينا الفرق بين الشكلية والبنيوية، وهو أن الأولى تفصل تماًما بين جانبي الشكل والمضمون؛ لأن الشكل هو القابل للفهم، أما المضمون لا يتعدى أن يكون بقايا خالية من القيمة الدالة أما البنيوية ترفض هذه الثنائية، فليس ثمة جانب تجريدي واحد محدد واقعي، حيث الشكل والمضمون لهما نفس الطبيعة ويستحقان نفس العناية في التحليل، فالمضمون يكتسب واقعه من البنية، وما يسمى بالشكل ليس سوى تشكيل هذه البنية من أبنية موضعية أخرى تشمل فكرة المضمون نفسها، ونتيجة لهذا التصور فإن البنية لا تبتر الواقع، وإنما هي على العكس من ذلك تتيح الفرصة لإدراكه بجميع مظاهره[20]، فالقراءة النسقية تحاول الجمع بين العناصر الشكلية للنص الأدبي وهو ما اكدت عليه الشكلانية إلى جانب العناية بالمضمون الذي لا يكتسب واقعه إلا من خلال البعد الشكلي كما أكدت على ذلك البنيوية.

خامسا–المحايثة من تجليات القراءة النسقية للنص الأدبي

المنارة للاستشارات

إن القراءة النسقية قراءة محايثة والمحايثة (Immanence) مصطلح اكتسب دلالته من الفلسفة المثالية الحديثة لدى كانط الذي استعملها مقابل المفارقة للدلالة على حضور الشيء في ذاته، والتاريخ المحايث للفلسفة هو تفسير مثالي للفلسفة على أنها عملية تحكمها فحسب قوانينها، وأنها ليست خاضعة لتأثير الاقتصاد والصراع الطبقي، والوعي الاجتماعي[21]، فالقراءة النسقية قراءة تحاول عزل النص الأدبي عن كل ما يعتلج في المجتمع لتقف على العناصر التي تكون بنية النص الأدبي والقوانين التي تحكم انسجامها.

إن المحايثة مبدأ لساني تنطلق منه القراءة النسقية، وهو من مبادىء اللسانيات البنيوية، فالمحايثة "بحث يعرف بنيات موضوعه اعتمادا وفقط على علاقات الحدود الداخلية لهذا الموضوع "[22]، فتحاول اكتشاف العالم الداخلي للنص الأدبي من خلال التركيز على البنى التي تشكله بعيدا عن كل ارتباط لها بخارج هذا النص.

تناول القراءة النسقية لمفهوم المحايثة تأكيد " على الاهتمام بالشيء من حيث هو ذاته وفي ذاته، فالنظرة المحايثة هي النظرة التي تفسر الأشياء في ذاتها ومن حيث هي موضوعات تحكمها قوانين تنبع من داخلها وليس من خارجها"[23]، وبذلك تقرأ النص الأدبي بمعزل عن محيطه وارتباطه بالأبعاد الاجتماعية أو الثقافية أو الفكرية، وتبحث في العلاقات التي تحكم نظامه، والقوانين التي تشيد بنيانه، وتسهم في اتساقه.

سادسا–التحول من الجملة إلى النص والخطاب من تجليات القراءة النسقية

القراءة النسقية للنص الأدبي اهتمام بالجملة ووصفها وهو ما درجت عليه اللسانيات وأرسى دعائمه دي سوسير، والجملة في عرف اللسانيين " هي أكبر وحدة قابلة للوصف النحوي"[24]، فكل بنية نحوية هي قياس ودراسة اللغة تتمثل في إظهار مجموعة العناصر المكونة لتلك البنية التي يتعاطاها أفراد المجموعة اللسانية مما يؤلف قياسات تلك اللغة المستعملة أي أن النحو علم تصنيفي هدفه ضبط الصيغ

المنارة للاستشارات

الأساسية في اللغة بحسب تواترها [25]، فتبحث في نظام العناصر اللغوية وتصفها وصفا يظهر شبكة العلاقات التي تحكمها وتنتظم مكونات بنيته خلالها.

فالقراءة النسقية للنص الأدبي بحث عن النظام اللغوي وتشكلاته والنظرة اللسانية تقوم بتحليل اللغة باعتبارها مجموعة من الجمل كل جملة تشتمل على شكل صوتي وعلى تفسير دلالي، وقواعد اللغة هي التي تفصل التوافق بين الصوت والدلالة في الجملة، ولذلك تسمى بقواعد الجملة باعتبارها الوحدة الأساسية في التحليل اللساني[26]، فالانطلاقة الأولى للقراءة النسقية هي المؤلفات المباشرة التي تمثل بنيات النظام وبتراكمها يتكون شكل النص المتكامل وهو ما أسس لتحول في القراءة النسقية.

إن التحول الذي حدث في القراءة النسقية هو تحول من دراسة الجملة إلى فضاء أكبر وهو الخطاب والنص وهو ما أرسى دعائمه (هاريس)(Z.HARIS) حيث سعى إلى الانتقال من تحليل الجملة إلى تحليل الخطاب، فنظر إلى تحليل الخطاب من زاويتين: الأولى تشمل دراسة العلاقات بين الثقافة واللغة وتتجاوز الثانية حدود الجملة إلى الخطاب، وهي مسألة لسانية وقف عندها (هاريس) دون الاهتمام بالزاوية الأولى التي تهتم بما هو خارج عن الخطاب، وبذلك اقتصر عمله شأنه شأن كل التوزيعيين على ملاحظة الظاهرة اللغوية باعتبارها بنية مجردة من المعنى فعد الخطاب مجموع قواعد تسلسل الجمل المكونة للتعبير[27]، فتحولت القراءة النسقية من دراسة الجملة إلى دراسة سلسلة من الجمل تمثل خطابا أو نصا تتموضع بنياته في مواقع تحكمها شبكة من العلاقات.

إن تحول القراءة النسقية من الجملة إلى الخطاب هو تأكيد على أن " الجملة لا تشكل في صلب ملفوظ أكبر سوى وحدة صغرى للخطاب وأننا مع الجملة نبرح ميدان اللغة بوصفها نظاما من الأدلة ونلج عالما آخر هو اللغة بوصفها أداة للتخاطب التي تتجلى في الخطاب"[28]، فتوسعت دائرة اهتمام القراءة النسقية إلى النص كونه خطاب ينظر فيه إلى مكوناته على أنها بنيات غايتها التواصل، فتوصف انطلاقا من البعد الوظيفي الذي تؤديه في عملية التخاطب.

المنارة للاستشارات

تجاوز القراءة النسقية للجملة إلى النص تأكيد على ما ذهب إليه بارت(R.BARTHES) الذي عد الن نسيجا يكمن وراءه المعنى حيث يقول:" سنشد داخل النسيج على الفكرة التوليدية القائلة إن النص يتكون، ويصنع نفسه من خلال تشابك مستمر، ولو أحببنا عمليات استحداث الألفاظ لا استطعنا أن نصف نظرية النص بكونها علم نسيج العنكبوت "[29]، فالقراءة النسقية بذلك تبحث في شبكة اتساق ذلك النسيج واصفة اتساقه المستمر وانسجامه المتواصل.

القراءة النسقية أصبحت تنظر إلى النص كإنتاج فانتقلت من انتاج الجملة إلى انتاج النص وهو ما تؤكده (جوليا كريستفا) التي اعتبرت " النص نشاطا وانتاجا ..النص قوة متحولة تتجاوز جميع الأجناس والمراتب المتعارف عليها لتصبح واقعا نقيضا يقاوم الحدود وقواعد المعقول والمفهوم، فإن النص يتكون من نقول منتظمة وإشارات وأصداء لغات وثقافات عديدة، تكتمل فيه خريطة التعدد الدلالي النص مفتوح ينتجه القارئ في عملية مشتركة لا مجرد استهلاك هذه المشاركة لا تتضمن قطيعة بين البنية والقراءة، وانما تعني اندماجهما في عملية دلالية واحدة، فممارسة القراءة إسهام في التأليف"[30]، وهو انفتاح للقراءة النسقية على القارئ الذي يحاول تأويل بنيات نظام النص الأدبي ليدخل في عملية إنتاج لذلك النص لتندمج البنى الداخلية مع القراءة فتشكلان وحدة متكاملة.

فتحول القراءة النسقية من الجملة إلى النص والخطاب جعل القراءة تتحول إلى عملية انتاج ليبقى تحولها نحو الخطاب تحول عمق الرؤية النسقية الإنتاجية وجعلها تجمع بين النص والخطاب وهو ما تجلى في رؤية (فان ديك)(VANDJIK) الذي ذهب إلى أن:" الخطاب هو آن واحد فعل الانتاج اللفظي ونتيجته الملموسة والمسموعة والمرئية بينما النص هو مجموعة البنيات النسقية التي تتضمن الخطاب وتستوعبه وبتعبير آخر إن الخطاب هو الموضوع المجسد أمامنا كفعل أما النص فهو الموضوع المجرد والمفترض إنه نتاج لغتنا العملية"[31]، فالعناية بالخطاب عناية بالبعد المسموع والمنتج اللفظي الوظيفي، والعناية بالنص اهتمام ببنياته واتساق شبكة علاقاتها.

المنارة للاستشارات

إن المنطلق اللساني للقراءة النسقية في نظر فان ديك يقتضي النظر إلى الجملة كوحدة لغوية قابلة للوصف ووصف الجملة يصدق بدوره على وصف الجملة المركبة وكذلك على متتاليات الجمل، وعليه فإن الفرق بين الجملة والجملة المركبة ومتتاليات الجمل فرق نسقي ولذلك دعا (فان ديك) إلى إعادة بناء الأقوال ليس على شكل جمل، وإنما على شكل وحدة أكبر وهي النص، ويعني به البناء النظري التحتي المجرد لما يسمى عادة خطابا[32]، فالتحول تحول اتساع من الوحدات الصغرى صوب الوحدات الكبرى التي تكون النص وترسم معالم الخطاب، باعتبار الوحدة الصغرى جملة والوحدات الكبرى هي سلسلة من الجمل.

إن تحولات القراءة النسقية هي توسع في فهم نظامية اللغة لأن" فهم اللغة كنظام يستوجب فهم الكيفية التي تعمل بها النصوص، ويعني ذلك باختصار انتقال هاليداي من الاهتمام بمستوى الجملة كما كان شأنه في السابق إلى الاهتمام بمستوى النص"[33]، وهو توسع في دراسة النص والخطاب باعتبارهما نظاما من الجمل وسلسلة من الملفوظات.

كما أن تحول القراءة النسقية من الجملة إلى الخطاب هو حديث عن (رولان بارث) الذي يؤكد بأن الجملة في اللسانيات هي الوحدة الأخيرة في اللغة، وهذا يعني أن الخطاب لا يوجد إلا في الجملة، لأن الجملة هي القسم الأصغر الذي يمثل بجدارة كمال الخطاب بأسره، واللسانيات لا يسعها أن تتخذ موضوعا أرفع من الجملة لأن بعد الجملة ليس هناك جمل لهذا من الحتمي أن يكون الخطاب ذاته منتظما ضمن مجموعة من الجمل، فتغدو عبر هذا التنظيم رسالة تبعث بها لغة أخرى متفوقة على لغة اللسانيين لأن للخطاب وحداته، وقواعده وقوانينه لهذا يجب أن يكون الخطاب موضوع لسانيات ثانية، وهكذا من خلال علاقة التشابه بين الجملة والخطاب ينتهي (بارث) إلى أن الخطاب جملة كبيرة، ومنها يصير السرد جملة كبيرة لأن لغة السرد عامة لا تعدو كونها أحد الاصطلاحات التعبيرية التي وهبت للسانيات الخطاب[34].

فالقراءة النسقية في تجاوزها للجملة تأكيد على رؤية (جوليا كريستيفا) التي نظرت إلى النص وفق منظورين منظور النص الظاهر (Phenotexte)، وهي البنية التي

المنارة للاستشارات

هي موضوع البنوية والنص التوالدي(Génotexte)، وهو النص المحلل والتوالدية تتخطى البنية لتصفها في إطار أعمق منها هو مجموعة إشارات وعلامات بينها تهدمها، وتعيد بناءها من جديد لأن النص عند كريستيفا ليس نظاما لغويا منجزا، ومقفلا كما هو الشأن عن البنيويين، وإنما هو عدسة مقعرة لمعان ودلالات متغايرة ومتباينة معقدة في إطار أنظمة سياسية دينية سائدة[35]، فتحولات القراءة النسقية من الجملة إلى النص والخطاب فتح الباب أمام التأسيس لانفتاح نظامهما من خلال بنائه وإعادة هدمه لتتعدد دلالاته وتتوالد معانيه.

سابعا– البنوية التكوينية من تجليات القراءة النسقية حيث الجمع بين الانغلاق والانفتاح والنسق والسياق

إن القراءة النسقية في قراءتها النص الأدبي ظلت حبيسة النسق الذي كان يبحث في التأسيس اللساني الأولي عن العلاقات التي تحكم عناصره وتؤلف بينها خاصة لما ارتبط بالشكل، وهو ما أنتج رؤية تربط بين النسق ومحيطه ويمكن تجسيدها في الجهود التي قام بها (جورج لوكاتش) الذي لم يكن بنيويا لكنه كان من الأوائل الذين ربطوا بين بنية العمل الأدبي وبين محيطه الاجتماعي الذي أنتجه[36]، فبدأ الالتفات إلى أهمية سياق النص والخطاب في فهم دلالات نظامه.

انفتاح القراءة النسقية تبلور في شكل نظرية بنيوية متكاملة مع (لوسيان غولدمان)(Lucien Goldmann) في ما أسماه بـ (التوليدية التكوينية) أو التوليدية(Le structuralisme génétique) حيث كان يتبنى في رؤيته البعد البنيوي إلا أنه كان ينظر إلى البنية نظرة تجعلها واقعا حيا متحركا وفق النظرة الجدلية للواقع، فيرفض النظر إلى العمل الأدبي مفصولا عن محيطه الثقافي والاجتماعي، وهو في ذلك يتعامل مع النص ضمن حواليته رافضا عزله عن محيطه حيث يرى أن دراسة التفاحة دون أخذ الشجرة بعين الاعتبار مع أنها هي التي كونتها والمحيط المناخي والزراعي الذي أسهم في حياتها، فدراسة التفاحة أمر مهم في حد ذاته، ولكنه يصبح أهم وأشمل إن لم تفصل عن الشجرة ومحيط حياتها[37]، لتتحول

المنارة للاستشارات

إلى تأكيد ارتباط بنيات النص والخطاب بمحيطهما الثقافي والاجتماعي وهو ما يضفي عليها شمولية واتساعا في فهم دلالات بنياتهما.

إن انفتاح القراءة النسقية ليس رفضا من غولدمان لنتائج التحليل البنيوي الذي قدمه (ليفي شتراوس ورومان جاكبسون) ولكنه يقدم ذلك العالم فيجعل الأولوية له(La vision du Mond) على الشكل والبنية الشمولية على البنى الجزئية[38]، فالانفتاح تأكيد على شمولية تناول البنى وعلاقاتها بسياقاتها المختلفة.

انفتاح القراءة النسقية هو إيمان بأن الأدب رسالة ذات معنى ثابت وتعبر عن رؤية من رؤى العالم، ولا يكون الشكل فيها إلا بمثابة واسطة ووسيلة[39]، وهو زاوية أخرى في دراسة نظام النص والخطاب من خلال البحث في الدلالات التي تتجلى لحظة ربط النظام اللغوي بالمحيط الذي ولد فيه وتفسيره بالاستعانة بخصوصية ذلك المحيط.

إن انفتاح القراءة النسقية هو ترجمة لرؤية(جوليا كريستيفا) التي نظرت إلى النص باعتباره وحدة إيديولوجية تتشكل من التقاء النظام النصي المعطى كممارسة سيميولوجية بالأقوال والمتتاليات التي يشملها في فضائه أو التي يحيل إليها فضاء النصوص ذاتها[40]، فالانفتاح تأكيد على ربط البنيات بفضاء الكل الذي تشكله.

تؤسس (جوليا كريستيفا) لانفتاح القراءة النسقية بمنهج يتناول النص الأدبي في محورين (آني وتعاقبي) يدرس في محوره الأفقي البنية السطحية للنص أو العلاقات الأفقية لوحدات النص التي تعطيها اسم(مظهرية النص)(Le phéno-texte)، ويدرس في محوره العمودي البنية العميقة للنص التي تسمح بكشف بعده التاريخي بما يحمله من قيم ومعتقدات وذوق ومشاعر، وأخلاق، وموروث ثقافي وتقاليد أدبية وتطلق على هذا المحور اسم (تكوينية النص)(Le géno-texte) [41]، فهو انفتاح يبلور مصطلح التناص الذي يتصل موضوعه بعمليات الامتصاص والتحويل الجذري أو الجزئي لعديد من النصوص الممتدة في الموروث الأدبي بالقبول أو الرفض في نسيج النص الأدبي[42].

المنارة للاستشارات

كما أن انفتاح القراءة النسقية يقود إلى التركيز على القارئ وهو ما وقف عليه(ولفكانك أيزر) حيث يؤكد بأن مهمة الناقد لا تكمن في إيضاح النص وشرحه بل هي كشف آثار النص على القارئ، كما اهتم (روبيرت ياوس) بالبعد التاريخي للنقد الموجه إلى القارئ ووضع سلما لتوقعات القراءة وحاول أن يوفق بين الشكلانية الروسية التي تبعد التاريخ من مجالها البحثي والنظريات الاجتماعية التي تعطي الأولوية للبعد الاجتماعي الذي أنتج النص[43]، فانفتاح القراءة النسقية توظيف للبعد التاريخي والاجتماعي في فهم بنيات النص والخطاب.

خاتمة

إن تجليات القراءة النسقية للنص الأدبي تشكلت بحسب تحولات قراءة المعطيات اللسانية المرتبطة بمفهوم النسق فقد تشربت في مراحل معطيات لسانية معينة لتأتي فترة أخرى أعيدت قراءة تلك المعطيات اللسانية من جديد فأنتجت رؤى نقدية جديدة ألقت بظلالها على القراءة النسقية فمن الانفتاح إلى الانغلاق لبست القراءة النسقية لكل حال لبوسها محاولة فك شفرات النص الأدبي، فكلما أعيد تشكيل نسق النص الأدبي كلما استدعى آليات جديدة لقراءته، فمن البحث في جمله وعلاقاته وبنياتها المتراكمة إلى البحث فيه كنص ثم التحول نحو البحث فيه كخطاب، ثم ربطه تارة بالمؤلف، ثم الانقلاب على ذلك وإعلان موت المؤلف المفاجئ وهو ما يدخل القراءة النسقية في متاهة البنية السطحية والبحث عن تعويض المفقود ومحاكاته بقراءة تحاول افتراض علاقات وقراءات وتأويلات بعيدة عن أي صنم قد يقف فارضا نفسه على النسق، لتتشكل القراءة النسقية للنص الأدبي بحسب تلون مفهوم النسق.

الهوامش والإحالات

1-جان بياجه، البنيوية، ترجمة: عارف منيمنه وبشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت، ط4، 1985م ، ص 8

2-يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح النقدي في الخطاب النقدي العربي الجديد، الدار العربية للفنون ناشرون، ط1، بيروت، لبنان،2008، ص120

المنارة للاستشارات

3-عز الدين المناصرة، علم الشعريات (قراءة مونتاجية في أدبية الأدب)، دار مجلاوي، عمان، ط1، 2007م، ص540

4- المرجع نفسه، ص 540

5-عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، شرح وتعليق محمد التنجي، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1999، ص54

6 -انظر، يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح النقدي في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص122

7-انظر، إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، 2003م، ص 95

8-انظر، المرجع نفسه، ص95

9- انظر، المرجع نفسه ، ص 96

10- انظر، المرجع نفسه، ص96

11-انظر، المرجع نفسه، ص96-97

12-انظر، يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح النقدي في الخطاب النقدي العربي الجديد، مرجع سابق، ص 121

13- انظر، فائق مصطفى وعبد الرضا، في النقد الأدبي الحديث منطلقات وتطبيقات، دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد، د.ط ، 1989م، ص 182

14- انظر، إبراهيم السعافين و عبد الله الخياص، مناهج تحليل النص الأدبي، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ط1، 1993م، ص 70

15-انظر، عبد السلام المسدي، قضية البنيوية دراسة ونماذج، وزارة الثقافة، تونس، ط1، 1991م، ص 77 .

16-انظر، نبيلة إبراهيم، نقد الرواية من وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة، مكتبة غريب، القاهرة، (د. ط)، (د. ت)، ص 44 .

17- انظر، جميل حمداوي، مقال بعنوان: ما البنيوية، دارسات وأبحاث أدبية، موقع على الإنترنت، http://www.rezgar.com .

18-انظر، شكري الماضي، في نظرية الأدب،، دار الحداثة، بيروت، ط1، 1986م ص 188 .

المنارة للاستشارات

19–صلاح فضل، النظرية البنائية في النقد الأدبي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1980م ، ص 23.
20– المرجع نفسه،ص133
21– انظر، الموسوعة الفلسفية، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة، ط5، بيروت ،1985،ص459
22–يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح النقدي في الخطاب النقدي العربي الجديد، مرجع سابق، ص134
23–انظر، أديثكرزويل ، عصر البنيوية، من ليفي شتراوس إلى فوكو، تر. جابر عصفور، آفاق عربية، بغداد،1985 ،ص276
24–ميشال زكريا، بحوث ألسنية عربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، ص51
25–انظر، عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، ص144
26–انظر، ميشال زكريا، بحوث ألسنية عربية، مرجع سابق، ص51
27–انظر، سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، منشورات المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ص 17
28– E.BENVENIST-PROBLEMES DE LINGUISTIQUE GENERALE.EDITION GALIMARD-1966.P16
29–رولان بارت، لذة النص، ترجمة محمد الرفرافي ومحمد خير بقاعي في مجلة العرب والفكر العالمي ، العدد10، سنة 1990، ص35
30–سعيد حسين بحيري، علم لغة النص– المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر،ط1997،1، ص113
31– سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي،ط1، 1989،ص16
32– انظر، محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص29
33–يوسف نور عوض ، نظرية النقد الأدبي الحديث ، دار الأمين القاهرة ، ط1، 1994، ص 17

المنارة للاستشارات

34- انظر، رولان بارث، النقد البنيوي للحكاية ، ترجمة انطوان أبو زيد، بيروت ، باريس 1988، ص95

35-انظر، فؤاد أبو منصور، النقد البنيوي، دار الجيل، بيروت لبنان،1985 ،ص343

36-انظر، جورج لوكاتش، الرواية، تر: مرزاق بقطاش، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، ص10

37- انظر، جمال شحيد، في البنيوية التركيبية، دراسة في منهج لوسيان غولدمان، دار بن رشد ، بيروت،1982،ص76

38-انظر، المرجع نفسه، ص 46-47

39-المرجع نفسه، ص46

40-انظر، صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، آب-أغسطس، الكويت ،1992، ص230

41-انظر، Julia Kristéva ,Recherches pour une sémanalyse,Ed. Du Seuil, paris 1969,p219

42-انظر، صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص، مرجع سابق، ص 240

43- انظر، رامان سلون، النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،1996 ، ص31

المنارة للاستشارات